الحضور المخزني بوادي دادس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر : شياخة محمد بن علي السدراتي نموذجا

محمد حمام
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الرباط

تعتبر الشياخة إحدى المؤسسات والنظم السياسية المهمة التي شهدها المغرب عبر تاريخه، وهي مؤسسة عريقة كتب لها البقاء وظلت حية إلى وقتنا الحاضر. وقد تبنتها مختلف القبائل المغربية كإطار جماعي لتنظيم شؤونها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وإذا لم تكشف لنا المصادر عن بداية تنظيمها فيظهر أن شيوخ بعض القبائل كان لهم دور أساسي في تاريخ بعض الدول المغربية، خاصة خلال العصر الوسيط، ونظرا للأهمية الخاصة التي كانت لهذه المؤسسة فإن الحكم المركزي سيحاول ـ حينما ستسمح له الظروف بذلك ـ أن يتدخل لدى القبائل النائية التي تشبثت بها طمعا منه في السيطرة عليها ومراقبتها عن كتب، وكان من نتائج هذا التدخل المباشر إدماج هذه المؤسسة القبلية الصرف ضمن مؤسسات الدولة في الوقت الراهن، ومداخلتنا هذه، ستعرض إحدى هذه المحاولات بوادي دادس خلال النصف الثاني من القرن الماضي. وقبل ذلك لابد من الإشارة إلى أن منطقة دادس هي مجاورة لمنطقتين مهمتين لعبتا دورا أساسيا في تاريخ المغرب وهما منطقة درعة جنوبا ومنطقة تافيلالت شرقا. لكن أهمية منطقة دادس لا تقل عن أهميتها إذ تشكل منطقة عبور لا مناص منها بين تافيلالت مراكش من جهة وبين الأطلس الكبير الأوسط وجبل صاغرو ودرعة من جهة أخرى. وبحكم هذا الموقع الاستراتيجي الذي كان يتميز به واد دادس، فقد كان عبر تاريخه محط أطماع كثيرة للسيطرة عليه. وهذا ما يفسر إلى حد كبير كون هذه المنطقة تتواجد بها إلى حدود

القرن الماضي وفي وقتنا الحاضر قبائل قبانية الأصول تنتمي إلى أهم الإتحاديات الكبرى المنتشرة عبر السفوح الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط وجبل صاغرو : وهي اتحاديات أيت عطا وأيت سدرات وإيمغران إضافة إلى اتحادية إمكون المنتشرة على طول واد امكون الذي يشكل الرافد الأساسي لواد دادس. ودون أن ندخل في دراسة تفاصيل تاريخ قبائل دادس لأن المقام لا يتسع لذلك هنا ـ نلاحظ فقط مدى التفاوت الواضع في الأهيمة التي كانت للمجال الذي سيطرت عليه كل واحدة منها.

ولما أدرك مخـزن القرن التاسع عشر ـ وخاصة خلال النصف الثاني منه ـ ما كان لهذه المنطقة من أهمية استراتيجية خاصة، أراد أن يكون له بها حضور مكثف ومستمر يمكنه من مراقبة ما يجري فيها من جهة، ومن جهة أخرى يمكنه من تأمين سلامة الطريق المارة بها والتي كانت تربط بين تافيلالت ومدينة مراكش وأحوازها. وقبل أن نقف عند هذا الحضور المتمثل في إسناد شياخة هذه القبائل المهمة بالمنطقة (أيت سدرات) لأحد شيوخها قدر المستطاع ـ المدلول اللغوي والتاريخي لمؤسسة الشياخة.

وكلمة الشيخ العربية تقابلها في الترجمة الأمازيغية كلمة أمغار وهي كلمة لا تزال شائعة الاستعمال في مناطق ما وراء الأطلس عامة وفي واد دادس خاصة. ومن حيث الاشتقاق اللغوي فكلمة أمغار مشتقة من فعل إمغور وإمقور بمعنى كبر وأصبح كبيرا، ويطلق ذلك على الانسان أو الحيوان أو الأشياء. وهناك فعل آخر من نفس الاشتقاق وهو إسمغور [1] بمعنى عظم وضاف (من الضيافة) وقر (القرى ما يقدم للضيف) وإذا امعننا النظر في نفس الكلمة نجد أنها مكونة أصلا من فعل إمغ ومعناه نبت وترعرع وعلا. ويطلق ذلك على كل ما تنبته الأرض ويخرج منها وانطلاقا من هنا يمكن القول، إن أمغار أو الشيخ «ينبت» من القبيلة فتعظمه (تسمغورت) وتعلو سلطته عليها بإرادتها ورضاها. وهناك اشتقاق رابع وهو فعل إغر مصدره تغري وتعنى القراءة والتثقيف. ومن بين ما يتميز به كذلك أمغار ثقافته ومن ثمة فهو المثقف والمفكر في قبيلته. ولا تزال بعض قبائل ما وراء الأطلس تستعمل إلى اليوم عبارة تشير إلى ما كان لامغار من

---

1. علي صدقي، مادة أمغار معلمة المغرب، ج 3، 763.

1 مكرر : Charlas de Foucauld, Dictionnaire touareg-français, Imprimerie Nationale de France, 1952, t.III, P. 1171.

ثقافة ومعلومات مهمة في الحياة، وهذه العبارة هي «إسنت أمغار» ومعناها أن على كل إنسان طرح عليه إشكال ما أو استعصى عليه حل مسألة من المسائل أو تنقصه المعلومات حول موضوع معين، فما عليه إلا أن يعرض ذلك على أمغار الذي كيفما كان الحال سيعينه على إعطائه كافة المعلومات حولها. غير أن لكلمة أمغار معان أخرى مثل الرجل المسن أو سيد الخدم كما هو الحال عند الطوارق [2] وبصورة عامة فأمغار يوصف به الانسان الذي له مكانة متميزة في المجتمع سواء كانت دينية أو سياسية. وبتعبير آخر فأمغار هو إنسان قوي إما بثقافته أو عن طريق تعظيمه من طرف قومه وتنصيبه عليهم.

أما المؤسسة نفسها فتسميها قبائل الجنوب ـ بما فيها قبائل واد دادس ـ تيموغرا وتنطبق على مجال جغرافي معين يتقلص أو يتسع حسب الظروف الداخلية والخارجية للقبيلة.

وتعود أول إشارة تاريخية مكتوبة لكلمة أمغار إلى الثلث الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي حيث يصف التادلي المعروف بابن الزيات في كتابه «التشوف إلى رجال التصوف» أبا عبد الله محمد بن أبي جعفر إسحاق بن اسماعيل الصنهاجي بابن أمغار [3] وكما جاء عند نفس المؤلف فهذا الاسم أي بنو أمغار الذين تميزوا في تاريخ المغرب الديني إلى جانب هذه الاشارة هناك إشارة ثانية لنفس الفترة وهي تتعلق بوالد الهدي البيذق (أبو بكر الصنهاجي) في كتابه «المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الأصحاب» مايلي : «... وشهر أيضا بالشيخ على وجه التعظيم جاء يوما إلى المهدي رضي الله عنه وهو في جماعة من أصحابه فلما قال لا صحابة باللسان الغربي [4]» الزايد آمغار آنا «معناه جوزوا ذلك الشيخ [5] ...». وهنا نلاحظ أن الجملة الأمازيغية الأخيرة هي جملة غير صالحة بالصيغة التي وصلتنا بها. ونعتقد أنه لكي يستقيم معناها وتنطبق مع ترجمتها العربية ينبغي تصليحها على النحو التالي : «الزريد آمغار آنا» ومهما يكن من أمر، فيتضح أن كلمة أمغار في المثالين السابقين مرتبطة

2. Ibid ; T.3 P - 1237.
3. التادلي (ابن الزيات)، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق الأستاذ أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ترجمة رقم 75، ص 209.
4. باللسان الغربي معناه باللسان الأمازيغي.
5. البيذق (بو بكر الصنهاجي)، المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1971، ص 27.

برجال دين أو ولاية ربما أصبحوا مبجلين من طرف قومهم إما لعلمهم أو لمكانتهم الاجتماعية.

ووردت كلمة إمغارن هي الأخرى ـ وهي صيغة الجمع لكلمة أمغار ـ في إشارة تاريخية مكتوبة عند ابن خلدون في معرض حديثه عن أبي بكر بن عمر اللمتوني الذي يقول عنه : «فهلك يحيى بن عمر سنة سبع وأربعين وقدم مكانه أخاه أبا بكر وندب المرابطين إلى فتح المغرب فغزا بلاد السوس سنة ثمان وأربعين وفر أميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي إلى تادلا واستضاف إلى بني يفرن ملوكها وقتل معهم لقوط بن يوسف المغراوي صاحب غمات وتزوج امرأته زينب بنت إسحاق النفزاوية وكانت مشهورة بالجمال والرياسة وكانت قبل لقوط عند يوسف بن علي بن عبد الرحمان بن وطاس وكان شيخا على وريكة وهي زوجة هيلانة في دولة إمغارن في بلاد المصامدة وهم الشيوخ وتغلب بنو يفرن على وريكة وملكوا أغمات فتزوج لقوط زينب هذه ثم تزوجها بعده أبو بكر بن عمر كما ذكرنا [6]...». وهذه الاشارة هي من الأهمية بمكان لأنها تشير إلى وجود كيان سياسي لدى مصامدة جبل درن كان ينسب إلى إمغارن وهو نظام لم نعرف عنه أي شيء سوى أن بني يفرن هم الذين قضوا عليه. وإذا كانت لنفس الاشارة دلالة أخرى فإنها تؤكد مرة أخرى الدور الهام الذي كان لامغارن والشيوخ في فترات معينة من تاريخ المغرب.

هذا الدور الذي بدا واضحا على الخصوص أيام الموحدين والمرينيين. ويتساءل المرء عما إذا كان ابن تومرت قد استلهم نظامه من نظام دولة إمغارن المشار إليه. المهم أن دولة الموحدين قامت على أكتاف شيوخ المصامدة الذين سرعان ما أصبحت لهم مكانة رفيعة في جهاز الدولة الجديدة فأصبحوا يشكلون أطرها العليا من مستشارين ووزراء وولاة وقادة الجيش الخ ... غير أن كلمة مزوار [7] التي وردت عند البيذق بدون ألف هي أصلا أمزوار وتعني المقدم أو الأول. وحسب نفس المؤلف فإن القبائل الموحدية التي كان على رأسها مزواران كان عددها إحدى وعشرون قبيلة وهي تشكل فئة المحتسبين ضمن الترتيب الموحدي [8] ولئن لم يكن واضحا ما المقصود بالمزوار أو المحتسب

6. ابن خلدون (عبد الرحمان)، كتاب العبر، ج 6، ص 183.
7. البيذق، المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الأصحاب، ص 57.
8. المرجع السابق، ص 57.

هنا فليس مستبعدا أن يكون معناه هو قائد الحرب الذي يستنفر القبيلة حينما تدعو الحاجة إلى ذلك أما في العهد المريني فتطلق على الشخصية القريبة من السلطان ووظيفتها تشبه وظيفة الحاجب (9). ولهذه الكلمة معان أخرى كالذي ذكره ابن غازي المكناسي في كتابه «روض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون» حين حديثه عن الجامع الأعظم بمكناس فوصف الشيخ المعمر عبد الرحمان النيار بأنه «موقت الجامع المذكور ومزوار مؤذنيها» (10) أما في وقتنا الحاضر فتطلق كلمة المزوار على مقدم أو نقيب الشرفاء والمرابطين (11) ومن الملاحظ أن بعض العائلات ولاسيما في واد درعة كانت تحمل اسم المزواري كما هو الشأن بالنسبة لأشهرها وهي عائلة الاكلاويين. هذا إذا سلمنا بالافتراض الذي يقول إن أصل هذه العائلة من واد درعة (تنزولين) (12).

وإذا اتضح مما سبق أن لفظ مزوار أو أمزوار قد نافس لفظ أمغار في الميدان السياسي فإنه لم يحظ بنفس الإستعمال الذي حظي به اللفظ الثاني إلى أيامنا هذه. ويذهب الأستاذ علي صدقي إلى أن «كلمة أمزوار» مرتبطة بالتسيير الجماعي «الديمقراطي» الانفلاسي [في حين] أن كلمة أمغار وثيقة الصلة بالنظام الأوليكارشي والإستبدادي في غالب الأحيان وخاصة إذا كانت وظيفة أمغار مرتكزة أساسا على سلطة عليا ...» (13) قد ينطبق مثل هذا التحليل على المسار الذي شهدته بعض القبائل المصمودية خلال فترة تاريخية معينة ولكنه لا يمكن الأخذ به بالنسبة للقبائل الأخرى كقبائل صنهاجة القبلة التي شهدت تطورا آخر، فالمعروف مثلا لدى أيت عطا وقبائل وادي داداس وإمكون أن وظيفة أمغار قننتها الأعراف منذ زمن يصعب تحديده فكانت نفس القبائل تختار شيوخها (إمغارن) من بين أعيانها المؤهلين لذلك لمدة معينة عادة ما تكون سنة واحدة قابلة للتجديد إذا ما أبان الشيخ عن كفاءته ومقدرته في تطبيق عرف القبيلة والدفاع عن مصالحها. وهذا النظام بمعنى «شيخ العام» (14) أو أمغار الذي ينتخب لسنة. وقد لاحظ نفس الراهب عندما مر بقبائل ما وراء

9. ابراهيم حركات، مادة أمزوار، معلمة المغرب، ج. 3، ص 754 ـ 755.
10. ابن عاوي المكناسي، روض الهتون، 4000.
11. ابراهيم حركات، مادة أمزوار، معلمة المغرب، ج 3، ص 754 ـ 755.
12. محمد أو جامع، مادة الاكلاوي، معلمة المغرب، ج 2، ص 618.
13. علي صدقي، مادة أمغارن معلمة المغرب، ج 3، ص 763.
14. Charles de foucauld, reconnaissance au Maroc (1883-1884), réadition aux editions d'Aujourd'hui, VAR, 1985, P. 92.

الأطلس أن هذا النظام انفرد به على الخصوص أيت سدرات وإيمغران [15]. وهو ما كانت تتيمز به أيضا بعض قبائل صنهاجة القبلة مثل أيت سدرات وأيت عطا وجود أمغار بنمغارن أي شيخ الشيوخ وهو شيخ كانت سلطته تعلو فوق جميع شيوخ نفس الاتحادية القبلية : يحتكم إليه في القضايا الشائكة التي لم يحصل بشأنها الاتفاق بين الأطراف المتنازعة. ولذلك لا تقلد نفس القبائل هذا المنصب إلا لمن له شخصية قوية وإلمام واسع بعرف القبيلة وكان الشيخ أثناء مزاولة مهامه تساعده مجموعة من الضامنين يسمون يتحملون له ما قد يصدر عن اتحاديتهم التي يمثلونها ـ كل على حدة ـ من تصرفات قد لا تتماشى مع مصالح القبيلة.

وهكذا يظهر أن قبائل صنهاجة القبلة التي قننت الشياخة كانت تهدف بذلك أن لا تبقى هذه المؤسسة الجماعية تحت تصرف نفس الأسر مدة طويلة تفاديا لما قد يشكله ذلك من طغيان واستغلال للنفوذ داخل القبيلة، تبعا لذلك فقد ظلت سلطة الشيخ أو أمغار بواد دادس عموما ولدى أيت سدرات خاصة، تستمد شرعيتها من القبيلة نفسها منذ أمد يصعب تحديده إلى منتصف القرن التاسع عشر تقريبا. وابتداء من هذا التاريخ ستشهد هذه المؤسسة تحولا كبيرا لدى نفس القبائل نظرا للتدخل المباشر للسلطة المركزية في تنظيمها أملا منها في احتوائها ومراقبتها حتى تضمن بذلك مراقبة أفضل لتلك القبائل النائية سيما وأن الحضور المخزني لديها ظل ضعيفا إلى ذلك الحين. ومنذ هذه الفترة ستفقد قبائل وادي دادس وقبائل ايت سدرات على الخصوص سيطرتها شيئا فشيئا على مؤسسة طالما حافظت عليها ورعتها باستمرار.

ولتنفيذ هذه السياسة الجديدة أخذ المخزن يعين بعض الشيوخ إمغارن بظهائر رسمية. وكان ذلك بداية تطور هام في علاقاته مع تلك القبائل الجنوبية. وشياخة محمد بن علي السدراتي الدادسي التي سأبدأ في الحديث عنها تندرج ضمن هذا السياق وتؤرخ لهذه المرحلة الجديدة.

أسرتــه وشياختــه :

ولا نتوفر على وثائق مكتوبة عن أسرته ولكنها لا تزال معروفة، إلى اليوم بقصر أيت واحي الذي يقع على الضفة اليمنى لوادي دادس بالقرب من نقطة

15. Ibid.; p. 92

التقاء هذا الأخير بواد امكون. وتفيد المعلومات المتداولة في منطقة أيت إحيا ولدى عائلته التي تسمى أيت حمو وأيت أعلي أنها نزحت إلى هذا القصر من القصر الذي يحمل نفس الاسم ايت سدرات الجبلية وهو قصر أيت واحي نتشكشت [16]. وحسب نفس الرواية الشفوية فهذا النزوح يعود إلى الثلث الأخير من القرن الثامن عشر حينما تحرك أيت سدرات في اتجاه وادي درعة واستيلائهم على المنطقة العليا منه. وعلى إثر ذلك هجرت عائلات بأكملها من أيت سدرات الوادي إلى المناطق المفتوحة بوادي درعة ونتج عن ذلك استقدام أسر أخرى من أيت سدرات الجبلية لتحل محلها. وكانت أسرة أيت حمو من بين تلك الأسر الطارئة على أيت سدرات الوادي (منطقة أيت إحيا). وقد تمكنت هذه الأسرة أن تثبت مكانتها وتكون في طليعة العائلات المتزعمة لايت سدرات بوادي الرابع من القرن الماضي إلى أحد أفرادها وهو الشيخ محمد بن علي الذي نحن بصدد الحديث عنه.

وحسب نفس الرواية الشفوية المتداولة في المنطقة فبعد وفاة الشيخ علي اختارت بعض قبائل أيت سدرات ابنه محمدا ليكون شيخا عليها. وآنذاك بادر المخزن المركزي إلى تعيينه بظهير رسمي في منصب الشيخ على أيت سدرات الوادي المشهورين بأيت واصيف، وكان ذلك قبيل منتصف القرن التاسع عشر. ومنذ هذا التاريخ إلى وفاته في بداية القرن الحالي جدد له السلاطين الذين تعاقبوا على حكم المغرب خلال نفس الفترة الشياخة على نفس القبائل. وقد استمرت شياخته تلك ما يربو عن خمسين سنة. وقد ورثها عنه عقبه من بعده إلى بداية الاستقلال.

أما الظهائر السلطانية التي تعرفنا بشياخة محمد بن علي السدراتي فعددها ستة [17]. صدر الظهير الأول منها في يوم 20 رمضان 1266 هـ/1848 م من طرف سيدي محمد بن عبد الرحمان وهو خليفة لأبيه يومذاك بمراكش. وكان مما جاء فيه بعد الحمدلة والتصلية : «خدامة مولانا سدرات الوادي أعانكم الله وسلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد، فقد شيخنا عليكم خديم مولانا الشيخ محمد بن علي فكونوا عند أمره ونهيه فيما يامركم به

16. هذه المعلومات التقطناها من أفواه مسني المنطقة.

17. هذه الظهائر هي الآن بحوزة حفيده محمد أموح الذي كان شيخا على فرقة من أيت إحياالسدراتيين إلى بداية الإستقلال.

من أمور خدمة مولانا الشريفة أسعدكم الله به أمين والسلام» «الطابع وبداخله : محمد بن أمير المؤمنين وفقه الله» وبعد مضي أربع سنوات على الظهير الأول أصدر السلطان مولاي عبد الرحمان نفسه ظهيرا [18] ثانيا يؤكد فيه تعيين ابنه محمد بن علي السدراتي شيخا على أيت سدرات الوادي. أما الظهير الثالث المؤرخ بـ 16 شوال 1276 هـ/1858م فقد أصدره السلطان محمد بن عبد الرحمان يقر فيه مجددا شياخة محمد بن علي على أيت سدرات الوادي. وفي يوم 5 ذو القعدة 1280 هـ/1862 م منح له نفس السلطان بواسطة ظهير رابع ستة عشر كانونا كان قد أنعم بها والده فيما سبق «إعانة له على الطريق وإضافة إبناء السبيل» (كما جاء في الظهير). وقد حدد نفس الظهير تلك الكوانين على الشكل الآتي : سبعة كوانين لدى أيت واحي أي القصر الذي ينتمي إليه ويقطنه الشيخ محمد بن علي وكانون واحد لدى صهره الشيخ المدني بن حميدة. أما الكوانين الثمانية الباقية فهي في ذمة أيت عربي بتغزا(بوادي درعة منطقة أيت سدرات). وفي 22 جمادى الأولى 1303 هـ/1884 م أصدر السلطان مولاي الحسن الأول ظهيرا خامسا يقر فيه هوالآخر محمد بن علي على شياخة أيت سدرات الوادي السادس «لما كان ولاه إياه جده» يقول نفس الظهير، ويشكل الظهير الذي أصدره السلطان مولاي عبد العزيز في اليوم التاسع من شوال 1313 هـ/1894م آخر ظهير تلقاه الشيخ محمد بن علي من السلطة المركزية. وقد جاء فيه أن السلطان مولاي عبد العزيز يؤكد فيه «لحامله الشيخ محمد بن علي حكم ما تضمنه ظهير» والده من إقراره على شياخة أيت سدرات الوادي.

لكن المعطيات التي زودتنا بها الظهائر السالفة الذكر تثير من جانبا الملاحظات التالية :

فهي أولا لا تبين الصلاحيات التي كان يخولها المخزن للشيخ محمد بن علي وما هي اختصاصاته وأين تنتهي. كما أنها لا تبين بالضبط الحدود الجغرافية لما كان يسمى بأيت سدرات الوادي الذين شملتهم شياخته. ولا نعرف كم هو عدد القبائل التي كانت بالفعل تحت طاعته علما بأن أيت سدرات بصفة عامة وأيت سدرات الوادي بصفة خاصة كانوا ينقسمون إلى لفين

18. ظهير يحمل تاريخ 1270 هـ / 1852 م.

رئيسيين هما أيت زولي وأيت محلي المعروفين كذلك بأيت ملوان [19] وكل واحد منهما كانت تنضوي داخله مجموعة من القبائل يتغير عددها بتغير الظروف والمصالح داخل الاتحادية. وبالفعل يتجلى من خلال بعض الوثائق المحلية المعاصرة لفترة تولى محمد بن علي الشياخة على أيت سدرات الوادي أن شياخته اقتصرت على بعض القبائل أما البعض الآخر منها فقد كان تحت تصرف شيوخ آخرين أمثال محمد أعزي وابراهيم أعدي (من قصر أيت القاضي) وكلاهما من معياش التي هي إحدى المجموعات القبلية المهمة المكونة لأيت سدرات الوادي. وقد حضرا معا سنة 1277 هـ/1858م الصلح الذي عقدته بعض قبائل معياش في شأن تنظيم بعض شؤونها الاقتصادية والاجتماعية [20]. وحسب ما هو متداول لدى هذه القبائل إلى يومنا هذا فإن الشيخ ابراهيم أعدى السالف الذكر كان ذا شخصية قوية فأسندت إليه قبائل أيت سدرات بأجمعها الشياخة الكبرى أي أنه كان شيخ الشيوخ. وكان مما تيمزت به مدة شياخته بناؤه لقصر أيت توخسين بأعالي وادي دادس في المكان المعروف بتزكين بأيت سدرات الجبلية [21]. وإلى جانب هذين الشيخين هناك شيوخ آخرون كانوا معاصرين للشيخ محمد بن علي وتذكرهم الرواية الشفوية وهم الشيخ أحمد أمعشو من قصر أيت عموم بامعياش والشيخ محمد أبو بكر من قصر إلحيان بأيت عبو والشيخ الفقيه سيدي علي بن محمد.

من قصر تركوت بأيت إحيا، ويظهر من التحريات المستخلصة من المنطقة أن كلا من الشيخين الأولين تقلدا على التوالي منصب شيخ الشيوخ (أمغار نمغارن) على اتحادية سدرات بأجمعها. أما الشيخ سيدي علي نيت محمد فلحسن حظنا أننا عثرنا على الوثيقة التي أرخت لشياخته والتي كتبت على إثر اختياره شيخا من طرف بعض قبائل أيت إحيا التي تشكل قسما مهما من أيت سدرات الوادي. وهذه الوثيقة قمت بنشرها في مجلة هسبريس - تامودا سنة 1987 وهي مؤرخة من جمادى الثانية 1299 هـ/1881م [22]. وجاء في

---

19. معلومات شفوية. جمعناها من نفس المنطقة.

20. انظر محمد حمام، وثائق من أيت سدرات : تحقيق وتعليق، بحث لنيل الاجازة تحت إشراف الأستاذ العربي امزين، السنة الجامعية 1977 - 1978، وثيقة رقم 18، ص 42.

21. معلومات شفوية جمعناها من نفس المنطقة.

22. Mohamed HAMMAM, Coutumes imédites des qsur-s Ayt Ihya : Groupe de qsur-s Ayt Sedrate de l'aued Dadès (1881), Hespevis-Tamuda, vol. XXV, 1987, pp. 91-10.

بدايتها مايلي : «الحمد لله وحده وصلى الله على عين الرحمة. اتفقوا جماعة ءال الخير أيت إحيا بعضهم على للمصالحة بلادهم وجعلوا شيخهم المبرك عليهم أمين وهو السِّي على بني أيت محمد وأخيه الحسين من بين ترجوت ...» [23] ونفس الوثيقة تعرفنا بأسماء الأشخاص الذين نابوا عن قبائلهم في اختيار وتعيين هذا الشيخ عليهم. أما القبائل التي امتد إليها نفوذه ـ حسب نفس الوثيقة ـ فهي : تركوت، إمزودر، إلحيافن، أيت لحسن، إبرحن، أيت الرامي، تمجوط، إشيحن، لكزور، تكنينت، تزي، إقدارن، أيت كمات، أيت حمدن، وتشير نفس الوثيقة في الأخير إلى أن عائلة من قصر أيت واحي الذي ينتمي إليه الشيخ محمد بن علي قد انحازت هي الأخرى إلى شياخة الفقيه سيدي على نيت محمد. وهذا في حد ذاته يشكل تحديا كبيرا للشيخ محمد بن علي. ويظهر من قائمة الآنفة الذكر أن شياخة الفقيه سيدي علي نيت محمد كانت تخضع لها أهم قبائل منطقة أيت إحيا بحيث يمكن القول إنه لم يبق خاضعا في تلك الفترة لشياخة محمد بن علي إلا عدد غير مهم من قبائل نفس المنطقة.

وعلى ضوء ما تقدم يبدو جليا أن الشيخ محمد بن علي السدراتي لم يسعفه الحظ لكي يبسط نفوذه على جميع قبائل أيت سدرات الوادي وأنه مر بأزمة سياسية حادة وصلت ذروتها في بداية الثمانينات من القرن الماضي وذلك حينما تجرأت إحدى عائلات قصر أيت واحي وهو القصر الذي يقطنه، أن تتحداه وتخطب ود الشيخ الجديد السِّي على نيت محمد قصر ـ تركوت السالف الذكر، وعلى النقيض من ذلك فيظهر أن الشيخ محمد بن علي قد عوض هذا الاخفاق السياسي الذي لحقه لدى أيت سدرات الوادي بالنجاح الذي حققه لدى بعض قبائل أيت سدرات بوادي درعة وخاصة عند قبيلة أيت عربي بتغزا المدينة له بمثابة كوانين من تشكل نصف الكوانين التي كان قد أنعم عليه كل من السلطان مولاي عبد الرحمان وابنه سيدي محمد من بعده [24]. وإذا لم تعرف القيمة الحقيقية لمجموع هذه الكوانين لتتضح أهميتها كمورد اقتصادي فيظهر أن عددها كان قليلا ولم تكن كافية لمواجهة المصاريف وتثبيت نفوذه.

---

23. Ibid., p. 97.

24. حسب ظهير 5 ذو القعدة 1280 هـ / 1862 م السالف الذكر.

استنتـــاج :

ويؤدى بنا التحليل السابق إلى استنتاج مايلي :

أ ــ يظهر أن بعض قبائل أيت سدرات الوادي وقفت في وجه شياخة محمد بن علي لأنها، في نظرها، كانت خارجة عن ما هو مألوف ومتعارف لديها منذ أمد يصعب تحديده.

ب ــ ويبدو أيضا أن الحضور المخزني بوادي دادس كان غير مكثف طيلة القرن الماضي. وقد حاول المخزن أن يتدارك ذلك حينما نهج سياسة جديدة ترتكز على تعيين شيخ القبيلة بظهير رسمي وذلك قبيل منتصف نفس القرن. ولكن ــ كما رأينا ــ فهذا التدخل المباشر في هذا التعيين الذي لم تستشر في شأنه القبائل، ما كان ليضع حدا للشياخة التي كانت تعتمد القبيلة أساسا. وقد استمر هذا الوضع بوادي دادس عموما ولدى أيت سدرات خاصة إلى أن تكثيف سلطة الكلاويين بنفس المناطق خلال العقدين الأولين من القرن العشرين. ومنذ ذلك التاريخ نحت مؤسسة الشياخة بهذه المناطق، منحى آخر يختلف عما عرفته في السابق.